

## Publication Information

الاسوة ريسرچ جرنل

**AL-USWAH Research Journal**

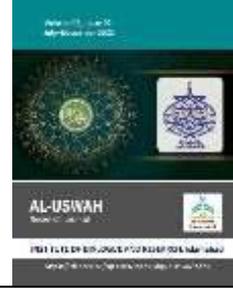
Publisher: Institute of Dialog and Research, Islamabad

E-ISSN 2708-2566 P-ISSN2708-8786

Vol.02, Issue 03 (July-September) 2022

<https://idr.com.pk/ojs3308/index.php/aluswa/index>

HEC Category "Y"



### Title

الاتجاه البياني في تفسير التحرير والتنوير ل محمد الطاهر ابن عاشور

### Translation:

Rhetorical Trend in Tafsīr al-Taḥrīr wa-al-tanwīr by Muhammad al-Tahir Ibn Ashur

### Author

**Dr. Shakeel Ahmad**

Lecturer, Department of Arabic Language and Literature

Allama Iqbal Open University, Pakistan

Email: [shakeelahmad@aiou.edu.pk](mailto:shakeelahmad@aiou.edu.pk)

**Dr. Musaab Iftikhar Durrani**

Lecturer, Department of Tafseer & Quranic Sciences

Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad

Email: [musaab.iftikhar@iiu.edu.pk](mailto:musaab.iftikhar@iiu.edu.pk)

### How to Cite:

Dr. Shakeel Ahmad, and Dr. Musaab Iftikhar Durrani. 2022. "الاتجاه البياني في تفسير التحرير والتنوير ل محمد الطاهر ابن عاشور".

Rhetorical Trend in Tafsīr Al-Taḥrīr Wa-Al-tanwīr by Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur". AL-USWAH Research Journal 2 (2).

<https://idr.com.pk/ojs3308/index.php/aluswa/article/view/25>.

<https://idr.com.pk/ojs3308/index.php/aluswa/article/view/25>.

### Copyright Notice:

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 3.0 License.



## الاتجاه البياني في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور

Rhetorical Trend in Tafsīr al-Tahrīr wa-al-tanwīr  
by Muhammad al-Tahir Ibn Ashur**Dr. Shakeel Ahmad***Lecturer, Department of Arabic Language and Literature  
Allama Iqbal Open University, Pakistan  
Email: shakeelahmad@aiou.edu.pk***Dr. Musaab Iftikhar Durrani***Lecturer, Department of Tafseer & Quranic Sciences  
Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad  
Email: musaab.iftikhar@iiu.edu.pk***Abstract**

This article aims to highlight the personality and prestigious scholarly status of Sheikh Ibn Ashour among the exegetes in following the rhetorical trend in exegesis. The Sheikh was known for extracting the subtleties of the rhetorical knowledge of the Noble Qur'an, and revealing the secrets of his rhetorical indications that indicate his miraculousness. He was innovative in the field of rhetorical exegesis, and unique from those who preceded him in this course, his work was not just a repetition of the efforts of previous scholars.

This study clarifies the depth of consideration of the Sheikh in dealing with the arts and methods of rhetorical exegesis. He focused on the figurative language of the Holy Quran. His wonderful exegesis "at-Tahrir wa at-Tanwir" expresses the spirit of the conscious exegete who drew his knowledge of the Holy Quran in a different way, as he added new matters to the exegete, which made his exegete different from contemporary exegetes.

**Keywords:** Rhetorical Trend, Inimitability of Quran, Ibn Ashur, at-Tahrir wa at-Tanwir

**الملخص**

يهدف هذا المقال إلى إبراز شخصية ومكانة الشيخ ابن عاشور العلمية المرموقة من بين المفسرين في سلوك الاتجاه التفسيري البياني حيث عُرف الشيخ باستخلاص دقائق معارف القرآن الكريم البيانية، والكشف عن أسرار دلالاته البلاغية الدالة على إعجازه، وقد ابتكر في هذا الميدان، وتفرد عن سبقه في هذا المضمار، فلم يكن عمله مجرد تكرار لجهود المتقدمين وترديدا لثمرة دراستهم، وإنما كان ابداعا في مسيرته العلمية التي اتجهت صوب التفسير البياني للقرآن الكريم. ويبدو جليا من خلال هذه الدراسة ما لهذا العلم من عمق النظر في تناول فنون البلاغة وأساليبها، وسعة باعه في تعاطيها حيث عني بما في تفسيره أشد عناية، فحرص على الكشف عن حسن التعبير القرآني في دلالاته البيانية، كما ركز على الأساليب البيانية وعطاءها الدلالي بما ينتظم كله في سلك خدمة القرآن الكريم، فجاء تفسيره الرائع معبرا عن روح المفسر الواعي الذي استقى معارفه بالقرآن الكريم من الأوائل وتفرد عنهم في مسائل، وأضاف إلى علوم الأولين ما جعل تفسيره متميزا عن التفاسير المعاصرة بشمولية النظرة وعمقها وميلها إلى

أصالة المعالجة والأخذ بنصيب وافر من مناهج وطرق الأقدمين في استخلاص الفوائد وتقييد الفرائد، مع جلاء شخصيته في البحث والاستنتاج ورسالة العبارة وجودة الإشارة وقوة السبك وروعة الأسلوب.

● تمهيد:

الإمام الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973 م) الرجل.. والقاضي.. والعلامة

يشبه البعض الشيخ الطاهر بن عاشور بكبار رجال عصر النهضة، وعندما نستعرض أهم مراحل حياة هذا الصبي الموهوب، الذي اجتاز بخطى سريعة مراحل التعليم التقليدي السائد في عصره، وارتقى وهو لا يزال شاباً إلى خطة مدرس ثم أستاذ، وشغل بعد ذلك المناصب المرموقة في كل من الجامعة الزيتونية الوقورة والمعهد الصادقي الذي يمثل تلاميذه اليوم الإطارات الأكثر كفاءة والمقدرة حق قدرها من بين إطارات الإدارة الوطنية إلى أن أصبح قاضياً مالكيّاً، فأظهر في الاضطلاع بمهمته الرهيبة من الحزم والتبصّر ما جلب إليه احترام أشد الناس ارتياباً، ممن تعودوا على تماون القضاة السابقين وسلوكهم المانع، حيث كانوا ميّالين لحياة الوداعة أكثر مما كانوا حريصين على دراسة الملفات دراسة دقيقة والإصغاء إلى المتقاضين.<sup>(1)</sup>

ولقد اقتنع جمهور المترددين على المحكمة الشرعية بما كان يمتاز به من قيمة أخلاقية وكفاءة قانونية، ذلك القاضي الشاب الذي كان يجمع بين مهامه القضائية الشرعية المضنية وبين مهمته كعضو مستشار بالمحكمة العقارية المختلطة. ولم يتأخر الجمهور عن التنويه بخصال ذلك العالم الرقيق الذي كان لا يبالي بالتعب ولا يتخلف عن أي جلسة من جلسات المحكمة، ولو أدى به ذلك إلى تأخير بعض المحاضرات والدروس التي كان يلقيها في أماكن أخرى.

وفي آخر الأمر استدعى ذلك التفاني، وتلك الجهود المبذولة في خدمة العدالة، انتباه السلط العليا التي قررت الاستفادة من تلك الكفاءة النادرة في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة المعمور. فدعت الشيخ إلى الانضمام إلى مجلس مدرسيّ الجامع الأعظم، أولاً بصفة استشارية ثم بصفة عضوية كاملة الحقوق، بناء على اقتراح زملائه أنفسهم، ولم نقض مدة طويلة حتى كُلف بمهام " شيخ الجامع الأعظم وفروعه " أي بالإشراف على حظوظ تلك المؤسسة العريقة الساهرة على حفظ التراث الأدبي والروحي للأمة التونسية، والمركز الحي المكون للأجيال المتعاقبة، التي تدين لها قارة أفريقية بإشعاعها العلمي وتأثيرها الأدبي في جميع أصقاع دول المغرب العربي<sup>(2)</sup>.

واقترعاً منه بالمهمة التاريخية الملقاة على عاتقه، فقد بذل الشيخ الطاهر بن عاشور كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني وتطويره وتنشيط الدروس في كافة الفروع الزيتونية، المنتشرة داخل البلاد. وسرعان ما أسفرت تلك الجهود عن النتائج المنشودة، والدليل الأكبر على ذلك، الزيادة الكبيرة في عدد الطلبة الملتحقين بجامع الزيتونة من كل صوب وحذب لمزاولة دراستهم، واستحقاق الشهادات العلمية الممنوحة لهم. ومن السهل علينا، والحالة تلك، أن ندرك ما كان لإقبال أبناء الريف على التعليم الزيتوني المتجدد، من تأثير في الأوساط العليا الفرنسية التي كانت تخشى انعكاسات ذلك الإصلاح على مجتمع لا يزال متحجراً وغير مكترث، باستثناء أقلية بسيطة لا يتجاوز

عددها بضع عشرات. فما العمل آنذاك لعرقلة جهود ذلك المصلح الحازم، بدون الظهور بمظهر المستنكر لمبادرته الذكية والمفيدة، وبالتالي بدون إثارة نقمة الشبيبة الزيتونية المتهيجة للثورة والتمرد؟  
ومما زاد في تعقيد الوضع أن النسق الذي أعطي للحركة الإصلاحية الزيتونية كان يكتسي صبغة لا رجعة فيها، وكان مترامناً من باب الصدفة مع تصاعد حملة مطلبية، كانت تشنها آنذاك الطبقات الكادحة المستغلة استغلالاً فاحشاً من قبل أرباب العمل الموسومين بالجشع والتعنت<sup>(3)</sup>.

وبطبيعة الحال فقد آل ذلك التعنت إلى رد فعل السلطة وقمع الهيجان، مما تسبب في إصابة العديد من الضحايا من بين المشوشين، وذلك قبيل قدوم المقيم العام الفرنسي "أرمان غيون"<sup>(4)</sup> الذي أوفدته حكومة الجبهة الشعبية برئاسة "ليون بلوم" إلى تونس؛ لانتهاج سياسة جديدة مركزة على الانفراج السياسي والتقارب مع الطبقات التونسية المستنيرة واستئناف الحوار معها، قصد تحقيق ما يصبو إليه الجميع من هدوء واطمئنان.

والجدير بالذكر أن هذا التقارب الذي كان يرغب فيه ممثل فرنسا الجديد، لا يمكن أن يجد من يتحمس له أكثر من الشيخ الطاهر بن عاشور المقتنع منذ أمد بعيد بضرورة انتهاج سياسة متحررة كفيلة باستمالة العناصر التي بقيت إلى حد ذلك التاريخ في حال انتظار أو تردد. ولذلك فقد نشأت بين الرجلين علاقات متواصلة ووثيقة ستكون لها انعكاسات طيبة على مجرى الأحداث في المستقبل.

فكلما دُعي الشيخ إلى إبداء رأيه حول المسائل ذات العلاقة بالسياسة المحلية، رغم بقاءه بعيداً عن غوغاء الشارع، إلا واقترح على مخاطبه اتخاذ التدابير الكفيلة بتوفير أسباب النجاح لتلك السياسة، لما فيه خير الجميع.

وهناك صلة نسب فكري تربط الشيخ الطاهر بن عاشور وبين العالم العبقرى أبي يوسف يعقوب الفارابي (339-450هـ) الذي عالج مثله جميع الموضوعات، وسير أغوار جميع ميادين المعرفة، وحل جميع المشاكل التي عرضت له، حتى أطلق عليه لقب "المعلم الثاني بعد أرسطو"، والملمم الثاني للمفكرين والفلاسفة الذين أقيم عليهم مجدنا الحضاري في الماضي.

ترك الشيخ الطاهر بن عاشور العديد من المؤلفات في الأدب والتفسير والفلسفة وعلم الاجتماع، وآخر مؤلفاته تفسير التحرير والتنوير، ذلك الكتاب الجليل الذي ينم عما يتميز به صاحبه من تبحر في العلم ودقة في معالجة الموضوعات وتوضيحها.

وظل الراحل ممسكاً بقلمه ليسجل كل ما يبدو له جديراً بالحفظ والاستعمال، من خلال مطالعته ومحادثاته ورحلاته. ولقد كان سهل المعشر، مشهوراً بلطفه وطيبة قلبه، حريصاً على تلبية كل الدعوات التي يتلقاها، ومشاركة المجتمع في أفراحه وأتراحه<sup>(5)</sup>.

وكان العلامة والمفسر الشيخ الطاهر بن عاشور حريصاً في تفسيره "التحرير والتنوير" على المعايير التراثية في كل أحواله، حرصه على المبادئ التي قام بها مفهوم المحاكاة في التراث النقدي، من حيث الوضوح والتناسب واللباقة والمشكلة، وثنائيات اللفظ والمعنى والإيجاز والإطناب والاستواء والتفاوت، فضلاً عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد استعاد ابن عاشور التراتب الهرمي للوعي التراثي، بالأنواع الأدبية، فأصبح الشعر في القمة، وجاء النثر تالياً، لاحقاً، هابطاً في درجات القيمة على نحو كاد معه التراث النقدي أن يغدو تراث "صناعة" واحدة للشعر وليس صناعتين إذا استخدمنا عنوان كتاب أبي هلال العسكري وكانت الحجة في ذلك ترديد هذه المرويات: "قال صلى الله عليه وسلم: إن لله كنزاً تحت العرش مفاتيحه ألسنة الشعراء. وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "أفضل صناعات الرجل الأبيات الشعرية يقدمها في حاجاته يستعطف قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم". وقال عبد الملك بن مروان المؤدب ولده: روهم الشعر روهم الشعر بمجدوا وينجدوا"<sup>(6)</sup>.

ويبدو أن الشيوخ الأوائل قد شغلهم الشعر عن النظر في شواهد القرآن الكريم، وأظن أن الذي تولاه شيخنا من حصر دقيق لكل حروف المعاني وتنزيلها في منازلها من أبواب علم النحو، وعلم الصرف، وعلم أساليب اللغة، مقدمة فائقة الدلالة لعمل آخر ينبغي أن تتولاه جماعة منظمة في حصر ما في الشعر الجاهلي والإسلامي، من حروف المعاني، ومن تصاريف اللغة، ومن اختلاف الأساليب ودلالاتها.

والذي ظن الشيخ أن القدماء قد فرغوا همهم له، هو في الحقيقة ناقص يحتاج إلى تمام. وإذا تم هذا كما أتم الشيخ عمله في القرآن الكريم، فعسى أن يكون قد حان الحين للنظر في "إعجاز القرآن" نظراً جديداً، لا يتيسر للناس إلا بعد أن يتم تحليل اللغة تحليلاً دقيقاً، قائماً على حصر الوجوه المختلفة لكل حرف، من حروف المعاني وتصاريف اللغة؛ لأن هذه الحروف، وهذه التصاريف تؤثر في المعاني، وتؤثر في الأساليب، وتحدد الفروق الدقيقة بين عبارة وعبارة، وأثرها في النفس الإنسانية، وأثر النفس الإنسانية فيها، وفي دلالتها.

ولقد احتاج العلماء إلى الشعر للاستشهاد به على نواحي إعجاز القرآن الفني، فجمعت قصائد ودواوين والنظم الشاهد فيها المسألة البيانية، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، في القرآن الكريم في الدراسات الأولى لأسلوبه، وصاحبها حتى تمام نضجها، وكان للشاهد في تلك الدراسات أثره في رسم الخطوط الأولى في البديع وعلوم البلاغة في مجموعها، وأسهم شاهد القرآن إلى جوار شاهد الشعر في ذلك، فجاء على رأس الأبواب مصحوباً بأمثلة من الشعر وكلام العرب على مثال ما كان يجري في دراسات القرآن الكريم<sup>(7)</sup>.

ويشتمل تفسير ابن عاشور على جملة الوشائج اللفظية والمعنوية التي تربط أجزاء السورة الكريمة بعضها ببعض، وفي كل قطعة من قطع السور أسباب ممدودة، في شبكة من العلاقات المحكمة النسيج. كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وأنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية.

والقرآن الكريم معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية، في شيء، فهي باقية ما بقيت.

لم يكن الشيخ الطاهر بن عاشور يسترسل في الحديث عن الجنس الواحد استرسالاً يبعث على الملل، ولم يكن ينتقل من معنى إلى آخر انتقالاً يخرجه إلى حد المفارقات التي تجمع أشتاتاً من غير نظام، فلم يكن يدع الأجناس

المختلفة والأضداد المتباعدة حتى يجاور بينها، ويبرزها في صورة مؤتلفة، وحتى يجعل من اختلافها نفسه قواماً لائتلافها، فتقوم النسق وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر المختلفة أشد عناء من تعديل أجزاء العنصر الواحد.

● أولاً: التعريف بابن عاشور:

هو محمد الطاهر بن عاشور مفتي الدولة التونسية، وشيخ الإسلام المرموق، عمل كأستاذ للتفسير والبلاغة في جامع الزيتونة<sup>(8)</sup>، وقد تولى رئاسة هيئة العلماء ولقب بقاضي الجماعة، وشيخ الجامع الأعظم، وكان عضواً بعدد من المجامع اللغوية العربية، ونهض بعبء الإصلاح الاجتماعي والتعليمي في عصره، عاش حياة حافلة بالإنجازات التعليمية والرؤى الإصلاحية التي تعبر عن كرم أصله وشخصيته الفذة<sup>(9)</sup>.

نسبه ومولده:

لقد اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ محمد الطاهر بن عاشور على تسميته بـ "محمد الطاهر" وهو اسم مركب<sup>(10)</sup>، ولم أعتز في المصادر التي طالعها ما يفيد بتسميته "محمد" بشكل مفرد، وهذا يدل على أن اسمه من الأسماء المركبة. ولد العلامة محمد الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في ضاحية المرسي<sup>(11)</sup>، وكان مولده في قصر جده لأمه الوزير محمد العزيز بوعتور - رحمه الله - وكان مولده في شهر جمادى الأولى سنة 1296 هـ الموافق لشهر سبتمبر/أيلول سنة 1879م.

ولم تحدد المصادر المتاحة يوم مولده، ولكنها ذكرت الشهر والسنة التي ولد فيها رحمه الله<sup>(12)</sup>.

نسبه:

هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور، ترجع جذور عائلته إلى بلاد الأندلس، حيث فر الجد الأكبر محمد بن عاشور من الأندلس فراراً من التنصير، ثم انتقلت الأسرة إلى "سلا" في أقصى بلاد المغرب، حيث ولد له محمد ثم استقر بها المقام في تونس بعد رجوع محمد من رحلة الحج سنة 1060 هـ، وله من العمر ثلاثون سنة، واستقرها، وتزوج منها، وكان رحمه الله عالماً صالحاً، وتوفي سنة 1110 هـ<sup>(13)</sup>.

### الدور الاجتماعي والوطني

أدلى الشيخ الطاهر بن عاشور بدلوه في القضايا الاجتماعية والوطنية المثارة والمستحدثة في المجتمع التونسي، من خلال مناقشتها في المنتديات تارة، وتأليف الكتب عنها تارة أخرى، مثل التعرض لكتاب "الإسلام وأصول الحكم" الذي أصدره الشيخ علي عبد الرازق في مصر وأنكر وجود الخلافة في الإسلام، فأصدر الشيخ كتاب "نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم".

كما أفتى ابن عاشور في ظاهرة الحصول على الجنسية الفرنسية، وهذا الأمر قد شغل الناس في زمن ابن عاشور، إذ أعلنت فرنسا فتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية لأبناء تونس في سياسة تهدف إلى طمس الهوية والدين في

البلدان الخاضعة للاحتلال الفرنسي، وقد تنبه العلماء -آنذاك- لهذا الهدف فأفتوا بجرمة التجنس بالجنسية الفرنسية، والتخلي عن الامتيازات التي تعطيها هذه الجنسية لصاحبها. وقد أفتى بذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، حين كان شيخ الإسلام المالكي، وهذا المنصب يمثل رئاسة اللجنة الشرعية لعلماء المالكية في تونس<sup>(14)</sup>.

#### صلاته بأعلام عصره:

حرص الشيخ الطاهر بن عاشور على توطيد صلاته وعلاقاته بأعلام عصره من العلماء والشيخوخ البارزين أمثال الشيخ محمد الخضر حسين<sup>(15)</sup>.

لقد انعقدت بين الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ العلامة محمد الخضر حسين ( 1293هـ - 1377 هـ) صداقة عظيمة تعد مثلاً رائعاً في صدق المودة، ورعاية الحقوق، والوفاء، ونحو ذلك من المعاني الجميلة؛ فقد كانا قرينين في طلب العلم بجامع الزيتونة، وبينهما من العمر أربع سنوات، حيث ولد الخضر عام 1293هـ، وولد محمد الطاهر بن عاشور 1297هـ.

ولقد فرق الاستعمار بينهما، حيث حُكِم على الشيخ الخضر بالإعدام ثم خفف إلى النفي، فخرج من تونس عام 1331 هـ، وتنقل بين عدد من البلدان حتى استقر به المقام في مصر ودفن فيها. وكان هناك تبادل للرسائل بين العالمين الجليلين، فكان الشيخ الخضر يكتب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ويرد على كتاباته ويبعث إليه بأشواقه، وتهانیه إذا ما تقلد منصباً.

#### مشاركته في المؤتمرات الدولية:

شارك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في العديد من الملتقيات والمؤتمرات المحلية والعربية والدولية، ومن أبرزها المشاركة في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في مدينة اسطنبول في تركيا عام 1951<sup>(16)</sup>. وقد تحدث ابنه الشيخ محمد الفاضل عن جانب من هذه الرحلة والتي اصطحب فيها والده، فقال: "وكانت رحلة أُعدّها من غرر الحياة، فلم نكن نمثل دولة، ولا منظمة، وكانت لنا فرصة لزيارة تلك المدينة التي هي أم التاريخ الحديث، ومجلى الجمال الساحر، ومجمع الكنوز النفيسة من المعالم والآثار والكتب"<sup>(17)</sup>.

#### عقيدته ومذهبه الفقهي:

##### أولاً عقيدته:

يتبين للناظر في كتب ابن عاشور أنه من حيث الجملة أشعري المعتقد، وفي عدد من المواضع في تفسيره، قول الأشاعرة بقوله: قال أصحابنا، أو أصحابنا الأشاعرة، أو أصحابنا الأشعرية ومن ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"<sup>(18)</sup> وتقدم القول في هذا عند قوله تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ "<sup>(19)</sup> في سورة الأعراف، وإنما أعددنا بعضه هنا لأن هذه الآية هي المشتهرة بين أصحابنا الأشعرية<sup>(20)</sup>. وفي أثناء تفسيره لقوله تعالى:

" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "<sup>(21)</sup>

يقول الشيخ: "ووصف الضلال بالمبين دون وصف الهدى بالمبين؛ لأن حقيقة الهدى مقول عليها بالتواطئ، وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته، وإنما زيادته بكثرة الطاعات، وأما الكفر فيكون بإنكار بعض المعتقدات، وإنكار جميعها وكل ذلك يصدق عليه الكفر"<sup>(22)</sup>.

ومن خلال هذين النقلين يتبين أن ابن عاشور أشعري المعتقد، وإنما قلت في بداية الكلام من حيث الجملة، لأنني وجدت كلاماً لأحد الباحثين في هذا الأمر، وهو الشيخ محمد بن حسن العمري، وقد كتب رسالة ماجستير في منهج الطاهر بن عاشور في أصول الاعتقاد، وقد تقدم بما إلى قسم العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية، وقد لخص في آخرها ما توصل إليه فقال:

بعد أن انتهيت - بعون الله وتوفيقه - من بيان منهج ابن عاشور في مسائل الاعتقاد، أود أن أجمل أهم نتائج هذا البحث وهي فيما يلي:

- أ- التزم ابن عاشور بالمذهب الأشعري في مسائل الاعتقاد على وجه العموم.
- ب- مخالفة ابن عاشور للمذهب الأشعري في بعض المسائل ملتزماً فيها بمذهب السلف ومن أمثلة ذلك:
  - 1- استدلاله على وجود الخالق بالأدلة الشرعية. وهي أدلة النظر في الآيات الكونية والنفسية، والنظر في معجزات الأنبياء والفضيلة. وهو إن كان خالف السلف باستدلاله بدليل حدوث الأجسام، إلا أنه لم يقصر الاستدلال على وجود الخالق عليه كما فعل الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين.
  - 2- قوله بأن أول واجب على المكلف هو الإقرار بالشهادتين وليس النظر أو القصد إلى النظر كما زعم الأشاعرة.
  - 3- اهتمامه بتوحيد الألوهية، وبيان مكانته، وعظم منزلته من الدين، بخلاف ما عليه الأشاعرة من عدم الاهتمام به، والتركيز على توحيد الربوبية.
  - 4- قوله بأن معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله": لا معبود بحق إلا الله، كما قال السلف إلا أن معناها: القادر على الاختراع كما قال الأشاعرة.. هذا فيما يتعلق بما وافق فيه السلف وخالف الأشاعرة<sup>(23)</sup>.

#### ثانياً: مذهبه الفقهي:

تمذهب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بالمذهب المالكي، والذي كان ولا يزال هو المذهب المنتشر في البلدان الأفريقية، ومنها تونس، بيد أنه قد يتوسع فيعمد إلى المنهج المقارن، وينقد هذا ويرجح دليل ذلك، ويرد على فكر الآخر، الأمر الذي يدل على استقلال في الفكر، وليس دائماً حبيس مذهبه<sup>(24)</sup>.

وقد تولى ابن عاشور منصب شيخ الإسلام المالكي، وهو لقب تشريفي لمفتي المالكية في تونس، وكان مشتهراً عند الحنفية هناك، ثم انتقل منهم إلى المالكية، فكان ابن عاشور أول من تلقب بهذا اللقب<sup>(25)</sup>. وهو دليل بين على تمكن ابن عاشور من المذهب المالكي حتى استحق هذا اللقب.

#### نشأته العلمية وتكوينه الثقافي:

نشأ ابن عاشور في كنف جده لأمه الشيخ الوزير محمد العزيز بوعنّور، وتحت رعاية والده الشيخ محمد بن عاشور، فبما شخصيته دينياً وتربوياً. (26)، شرع في حفظ القرآن الكريم وهو في السادسة من عمره، كما التحق بالكتاب الذي علمه أصول الحفظ والتجويد، تلقى العلوم العربية والشرعية على يد علماء أجلاء في تلك الفترة، وتلقى عنهم علوم النحو والبلاغة والمنطق وعلم الكلام والفقه والفرائض والأصول والحديث والسيرة (27). لقد كانت بداية ابن عاشور هي تعلم كتاب الله تعالى، لذا حرص أهله على تلقي ولدهم القرآن الكريم، فبدأ في سن السادسة في تعلم القرآن الكريم على يد الشيخ محمد الخياري، وحفظ معه مجموعة من المتون العلمية التي تؤهل الطالب للالتحاق بجامع الزيتونة، كمتن الأجرومية، ومتمن ابن عاشور (28).

### التعليم الزيتوني:

التحق العلامة محمد الطاهر بن عاشور بجامع الزيتونة، وهو في الرابعة عشرة من عمره، وكان للتربية المنزلية أثرها في تقوية رغبته لطلب العلم الشرعي والنهل من معينه الصافي، وقد تلقى ابن عاشور بجامع الزيتونة عدداً غير قليل من العلوم الشرعية، وقد كانت الزيتونة حينها منبعاً من منابع العلوم الشرعية، ومما تلقاه في الزيتونة من العلوم وذكرته المصادر التي ترجمت له:

- القرآن الكريم وعلومه: قرأ القرآن وجوده على الشيخ عبد القادر التميمي، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد الخياري. وقرأ تفسير البيضاوي على الشيخ عمر ابن الشيخ (29)، وقرأ الكشاف للزمخشري على الشيخ صالح الشريف (30).
- الحديث الشريف: قرأ الجامع الصحيح للبخاري بشرح القسطلاني، والموطأ بشرح الزرقاني على الشيخ سالم بو حاجب. ودرس كتب السنن في مرحلة الدراسة الزيتونية.
- مصطلح الحديث: قرأ البيهقي، وشرح غرامي صحيح علي الشيخ محمد بن عثمان النجار.
- علم الكلام: قرأ مختصر السعد على العقائد النسفية على الشيخ محمد صالح الشريف. والمواقف في علم الكلام على الشيخ عمر ابن الشيخ، والشيخ محمد ابن عثمان النجار. والوسطي في العقيدة قرأها على الشيخ محمد النخلي.
- الفقه الإسلامي: فقد درس أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للدردير، وشرح الشيخ مياره الفارسي على كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشور الأندلسي، وشرح التاودي على تحفة الحكام لابن عاصم المالكي الذي سماه (حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم). قرأ الدردير على الشيوخ: أحمد جمال الدين وعمر بن عاشور، ومحمد صالح الشاهد. كفاية الطالب الرباني، قرأه على الشيخ محمد العربي الدرعي، والشيخ محمد النخلي. والتاودي على التحفة، قرأه على الشيخ محمد صالح الشريف.
- أصول الفقه: فقد درس شرح الخطّاب على ورفات إمام الحرمين، وتنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي، قرأها على الشيخ محمد النخلي، وشرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي، قرأه على الشيخ محمد طاهر جعفر.

- النحو والصرف: وما قرأ فيهما الكتب التالية: شرح الأزهرى قرأه على الشيخين: أحمد بن بدر الكافي، ومحمد صالح الشريف. والمكودي على الألفية قرأه على الشيوخ: محمد النخلي، ومحمد بن صالح الشريف، ومحمد بن عثمان النجار. ولامية الأفعال قرأها على الشيخ عمر بن عاشور. والأشموني على ابن هشام قرأه على الشيخ محمد النخلي. وتعليق الدماميني على مغني اللبيب، قرأه على الشيخ عمر بن عاشور.
- البلاغة قرأ فيها التلخيص بشرح المطول للسعد، قرأه على الشيخ محمد النخلي. ومختصر السعد في البلاغة قرأه على الشيوخ: عمر بن عاشور، محمد بن عثمان النجار، ومحمد النخلي. ودلائل الإعجاز حضر دروساً منه على العلامة محمد بن يوسف<sup>(31)</sup>. وقرأ المفتاح للسكاكي بشرح السيد، وشرح السمرقندية<sup>(32)</sup>.
- المنطق: قرأ السلم في المنطق لعبد الرحمن محمد الصغي على الشيخ محمد بن صالح الشريف. والتهديب لسعد الدين التفتازاني على الشيخ محمد النخلي.
- الفرائض: وقرأ فيها: الدرة في الفرائض، قرأها على الشيخ عمر بن عاشور
- السيرة النبوية: وقرأ فيها: شرح الشفا للقاضي عياض وشرحه لشهاب الدين الخفاجي، قرأه على الشيخ محمد طاهر جعفر.
- اللغة والأدب: قرأ فيهما: المزهري في علوم اللغة، وشرح الحماسة، والمثل السائر.

#### حصوله على شهادة التطويح:

ثم إن ابن عاشور - بفضل الله تعالى - ثم بهذا التأسيس العلمي المتين، قد تفوق في امتحاناته ومناظراته، وفي حياته العلمية والوظيفية بعد ذلك، وحقق عدداً من النجاحات، وأول هذه النجاحات حصوله على شهادة التطويح في 4 ربيع الأول 1317 هـ، وهي شهادة كان جامع الزيتونة يمنحها لمن درس فيه مدة من الزمن، وشهد له الشيوخ بجودة الفهم، وإمكان التصدي للتدريس<sup>(33)</sup>.

دراسته العليا: وبعد حصوله على شهادة التطويح عاد إلى حضور دروس شيخه محمد النخلي. قرأ عليه الوسطى في العقيدة، وكتاب المحلى على جمع الجوامع في أصول الفقه، والمطول في البلاغة، والأشموني في النحو.

كان ذلك سنة 1318 هـ بتقييد الشيخ، كما حضر صحبة صديقه الشيخ محمد الخضر حسين دروس الأستاذ الشيخ عمر ابن الشيخ في تفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب "المواقف"، ودرس الشيخ سالم لكتابي البخاري والموطأ بشرحيهما. ومما لاحظته الشيخ الخضر حسين في زميله شدة حرصه على العلم ودقة نظره، متجليين في ملاحظاته وبحوثه.

وقد سجل ابن عاشور في دفتره أنه أفاد من شيخه الإمام سالم بوحاجب، أدياً وعلماً قائلاً: "قرأت صحيح البخاري رحمه الله ورضي عنه، على شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة التحرير سيدي سالم بوحاجب المفتي المالكي .. بشرح شهاب الدين القسطلاني، رحمه الله، قراءة تحقيق بجامع الزيتونة، وقرأت عليه من الموطأ أجزاء بشرح الشيخ الزرقاني قراءة تحقيق"<sup>(34)</sup>.

إجازاته العلمية:

- بعد أن طلب ابن عاشور العلم على كبار علماء جامع الزيتونة في حينه، أجازته جمع منهم بما تعلمه، ومن ذلك:
- إجازة الشيخ سالم بوحاجب له وقد قال فيها: قد أجزت لابننا المذكور جميع محفوظاتي وملحوظاتي، من معقول ومنقول، في فروع أو أصول، إجازة تامة مطلقة عامة.
  - إجازة جده الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور الذي أجازته بكل مروياته سنة 1321هـ.
  - إجازة شيخ الإسلام محمود ابن الخوجة له.
  - إجازة العالم النابغ سيدي عمر ابن أحمد ابن الشيخ سنة 1325هـ (35).

#### وظائفه العلمية:

تقلّب الشيخ ابن عاشور في مراتب التدريس، ففي سنة 1320هـ تولى مهام التعليم بصفة رسمية بالجامع الأعظم، وبعدها انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية في عام 1321هـ، وظل بها إلى العام 1351هـ، باستثناء فترة مباشرته للقضاء، ثم عُيّن عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم سنة 1326هـ، ثم ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية ابتداء من ربيع الأول سنة 1327هـ، والتحق بعد ذلك بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة، فكان عضواً به سنة 1328هـ، ثم عين شيخاً للجامع الأعظم سنة 1351هـ، وعيّن عميداً للجامعة الزيتونية سنة 1375هـ.

وخلال توليه هذه المناصب درّس الشرح المطول، وكتاب دلائل الإعجاز في البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وشرح جمع الجوامع في أصول الفقه، ومقدمة ابن خلدون، وهي كما لا يخفى من أمهات الكتب في نقد التاريخ، وأصول علم الاجتماع، وديوان الحماسة. ودرّس أيضاً في الحديث موطأ الإمام مالك، وأقرأ تفسير أنوار التنزيل (36). وقد انتخب عضواً بالمجمعين: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العربي بدمشق، وكانت له كتابات وتحريرات في مجلتيهما، وبغيرهما من المجلات العلمية بالشرق، كالموسوعة الفقهية بالكويت، ومجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، وعدد من الصحف والمجلات الأخرى بالشرق كالمنار، وبتونس كالسعادة العظمى (37).

#### مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة:

أولاً مؤلفاته المطبوعة:

- 1- التحرير والتنوير
- 2- مقاصد الشريعة الإسلامية
- 3- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام
- 4- أليس الصبح بقريب
- 5- اوقف وآثاره في الإسلام
- 6- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ
- 7- قصة المولد
- 8- التوضيح والتصحيح حاشية على التنقيح في أصول الفقه
- 9- نقد علمي لكتاب "الإسلام وأصول الحكم"

- 10- تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة
- 11- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح
- 12- أصول الإنشاء والخطابة
- 13- موجز البلاغة
- 14- شرح قصيدة الأعشى
- 15- تحقيق ديوان بشار
- 16- تحقيق الواضح في مشكلات شعر المتنبي
- 17- تحقيق كتاب: "سراقات المتنبي ومشكل معانيه"
- 18- تحقيق كتاب: "فوائد العقيان، ومحاسن الأعيان"
- 19- شرح مقدمة شرح ديوان الحماسة.

#### ثانياً مؤلفاته المخطوطة:

- 1- فتاوى ورسائل فقهية
- 2- آراء اجتهادية
- 3- تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع
- 4- قضايا وأحكام شرعية
- 5- أمالي على مختصر خليل
- 6- تعاليق على المطول وحاشية السياكوتي
- 7- أمالي على دلائل الإعجاز
- 8- أصول التقدم في الإسلام (38).

#### شيوخه:

من خلال الاطلاع على العلوم التي تلقاها ابن عاشور، وأسهمت في إثراء شخصيته العلمية والدينية والتربوية، وقد أسعده الحظ بتلقي العلوم علي يد أساطين العلم في عصره، والذين شكلوا وعيه وفكره، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ:

١- الشيخ سالم بوحاجب (ت ١٩٢٤ م) الذي يعد أحد المصلحين والمحققين البارزين، فنظراً لنباهة هذا الشيخ، وتميزه وعلو كعبه في العلم، فلزمه الشيخ ابن عاشور فقرأ على يديه (صحيح البخاري) بشرح القسطلاني في نسخته المحققة، بجامع الزيتونة، كما قرأ عليه أجزاء من شرح الزرقاني على موطأ مالك.

٢- الشيخ محمد العزيز بوعتور الذي أولى حفيده عناية خاصة، فبالإضافة إلى قراءة الطالب على شيوخه بعض أمهات الكتب، فإن الأستاذ دوّين مخطوطاً له بخط يده جمع فيه عيون الأدب، ونصوص الحكم وبدائع النظم والنثر. (39)

كما تلقى الشيخ ابن عاشور العلم على يد كوكبة من العلماء البارزين في جامع الزيتونة وكان من هؤلاء العلماء:

- 1- الشيخ أحمد بن بدر الكافي.
- 2- الشيخ أحمد جمال الدين.
- 3- الشيخ محمد صالح الشريف.
- 4- الشيخ عبد القادر التميمي.
- 5- الشيخ عمر ابن الشيخ (40).

#### ثانياً تلامذته:

لقد كان لهذه الجهود العلمية ثمرتها الظاهرة في تونس، وفي جامع الزيتونة خاصة، وفي هذا يقول الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة: "وقد تخرجت بشيخنا العَلَمَة محمد الطاهر ابن عاشور أجيال كثيرة، كانت تجلس إليه في حلقة درسه بالمسكبة الأخيرة من بيت الصلاة بجامع الزيتونة، وكان مقر دروسه بين أبواب البلور على مقربة من باب الشفاء بجوار حلقة شيخه مقدم علماء الحنفية الشيخ محمد بن يوسف.

فكان الشيخان رأس أئمة العلم بهذا المعهد يحتشد الطلاب في حلقتيهما يجلسون أسباطاً على شكل بيضوي دائري حول شيخيهما، ويكون من بينهم الشيوخ المدرسون، والمتطوعون، وكبار الطلاب الذين يستعدون للمشاركة في امتحان التطويع أو التدريس (41).

ومن هؤلاء الطلاب الذين حفظت الكتب المترجمة لابن عاشور أسماءهم:

- 1- أبو الحسن بن شعبان الأديب والشاعر المولود في تونس سنة 1315 هـ، الموافق 1897 م، والمتوفي سنة 1383 هـ، الموافق 1963 م.
- 2- محمد الصادق ابن الحاج محمود، المعروف ببسيس، المولود في سنة 1332 هـ، الموافق 1914 م، والمتوفي سنة 1398 هـ، الموافق 1978 م.
- 3- محمد الصادق بن محمد الشطي، المولود في سنة 1312 هـ، الموافق 1874 م، والمتوفي سنة 1364 هـ، الموافق 1945 م.
- 4- محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور المولود في المرسى بتونس سنة 1327 هـ، الموافق 1909 م، والمتوفي سنة 1390 هـ، الموافق 1998 م (42).
- 5- كما ترك الشيخ عددًا كبيرًا من التلاميذ والمريدين، الذين ترعرعوا في كنفه ونخلوا من فيض علمه، ونقلوه إلى الأجيال اللاحقة، ومن أبرزهم: محمد الحبيب بن خوجة (43)، والشيخ عبد الحميد بن باديس (44).

#### مكانته العلمية:

كان لابن عاشور مكانة مرموقة متميزة، فقد قال عنه شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين: "وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف غزارة العلم، وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع على الآداب العربية... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم" (45).

كما قال عنه العلامة المصلح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقوفها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي" (46).

وكذلك قال عنه الدكتور عبد الرحمن العثيمين: "كان من أفاضل الرجال في عصرها، أدركته ولم يقدر لي رؤيته - وهو بلا شك - من محاسن العصر، ونوادير الرجال، رئيس المفتين في تونس، وشيخ جامعة الزيتونة بها، خلف مكتبة حافلة بنوادير المخطوطات والمطبوعات، وألف آثاراً جلية" (47). وقد لقبه الشيخ محمد عبده منذ ريعان شبابه في أوائل القرن العشرين بـ(سفير الدعوة في الجامعة الزيتونية) (48).

#### وفاته:

توفي العلامة والشيخ ابن عاشور في يوم الأحد، الموافق 13 من شهر رجب للعام 1393هـ، الموافق 12 أغسطس/ آب سنة 1973م، بعد مسيرة شاقة تنوعت ما بين البحث والتدريس والعلم والتأليف. (49) ودفن في مسقط رأسه مدينة المرسى، وعمره آنذاك أربع وتسعون سنة، ودفن في مقبرة الزّلاج بمدينة تونس (50).

#### ● ثانيًا: تفسير التحرير والتنوير

الاسم الحقيقي لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، هو "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"، وقد بدأه بمقدمة وافية، ذكّرًا الهدف من إعداد هذا التفسير، وقد أكد علي أن التمسك بما قدمه السابقون إنما هو تعطيل عن الإعجاز القرآني، وتحميد لأحكامه القيمة، فعبّر عن ذلك بقوله: "أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع، متوسطاً في معترك أنظار الناظرين، حَقًا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ، ولقد رأيت الناس حول الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحاليتين ضر كثير (51)".

كما أشاد الشيخ بدور العلماء الذين سبقوه، واعترف بجهودهم في خدمة علوم القرآن الكريم، حيث قال في مقدمة تفسير التحرير والتنوير "وهناك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعلم إلى ما أشاده الأقدمون، فنهدبه ونزيده، وحاشا أن نقضه أو نبيده، علما بأن غمط فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة (52)".

وقد اعتمد ابن عاشور في كتابة هذا التفسير على جهود العلماء الذين سبقوه وبما قدموه من أعمال قيمة في تفسير القرآن الكريم، وقد أشاد ببعض منها وذكرها في مقدمة كتابه، وأنه قد استفاد ببعض هذه المراجع في إعدادة لهذا الكتاب، فقال: " وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف، والمحرم الوجيز لابن عطية، و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف، ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بدیع، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والفتازاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير

أبي السعود، وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي، وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير؛ لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي<sup>(53)</sup>.

كما ذكر الشيخ بأن تفسيره هذا يعد تفسيراً مميّزاً وليس تكراراً لسابقه من التفاسير الأخرى، وأنه قد استدلل علي كلامه ببعض الأمور العلمية الأمر الذي لم يسبقه أحد فيه، فقال عن ذلك: "وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم"<sup>(54)</sup>.

وقد أشار ابن عاشور في مقدمته، إلى أن علم البلاغة لم ينل حظاً وثيراً من العناية والاهتمام من جانب المفسرين، كما حظيت علوم القرآن الأخرى، لذا فقد خصها الشيخ ابن عاشور بالاهتمام وأعطاهها قدراً كبيراً من العناية في تفسيره هذا، لأنه يرى أن البلاغة هي أول خطوة في طريق الإعجاز القرآني التي تحدى بها المولى عز وجل أمة البيان والفصاحة، وفيها يكمن أسرار الإعجاز القرآني، لذا يمكنني القول بأن ابن عاشور قد اعتمد على إبراز الجوانب البلاغية في تفسيره، فقال: "إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة، بعيدة المدى، مترامية الأطراف، موزعة على آياته، فالأحكام مبينة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر، وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفانين، ولكن فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته، بحسب مبلغ الفهم وطاقته التدبير"<sup>(55)</sup>.

#### علوم البلاغة وعلاقتها بإعجاز القرآن

علم البلاغة علم مهم من علوم العربية، وقد لقي هذا العلم من عناية السلف وجهودهم ما جعله علماً قائماً برأسه؛ ليخدم الكتاب المعجز، ويشير واقع العرب في أوائل عصر نزول القرآن الكريم إلى أن السليقة التي نشأوا عليها سهلت عليهم معرفة أوجه إعجاز الكتاب الكريم، ومع مرور الأيام برزت عوامل جديدة أدت إلى إضعاف أثر السليقة، فقد اختلط العرب الفصحاء بغيرهم، ووصلت دعوة الإسلام إلى أقوام مختلفين، كما أثرت شكوك ومطاعن في بلاغة القرآن وإعجازه، مما جعل الكثيرين يحاولون استنباط ما يحاولون استنباطه من وجوه البلاغة فيه، ويُعد القرآن الكريم هو العامل الرئيس الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها، وكان هذا العامل أهم البواعث في إثارة الهمم للبحث الجاد عن ترتيب وجوه الكلام، والتمييز بين الأساليب.

وقد تناول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور هذه العلاقة بين علوم البلاغة والإعجاز في كلام طويل قال فيه: "ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العِلْمَانِ يسميان في القديم "علم دلائل

الإعجاز". قال في الكشف: "علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القُرَيْبَة<sup>(56)</sup> أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري<sup>(57)</sup> أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه<sup>(58)</sup>، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علما البيان والمعاني<sup>(59)</sup>. وقال في تفسير سورة الزمر عند قوله تعالى: "والسماوات مطويات بيمينه"<sup>(60)</sup>: "وكم من آية من آيات التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجه الرثة لأن من تأوّلها ليس من هذا العم في غير ولا نفي، ولا يُعرف قبيلاً منه من ذبير"<sup>(61)</sup>. ويقصد به علم البيان. وقال السكاكي في مقدمة القسم الثالث من كتاب "المفتاح": "وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدّس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين "المعاني والبديع" كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل<sup>(62)</sup>.

وقال في آخر فن البيان من المفتاح: "لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ على المرء لمрад الله من كلامه من علمي المعاني والبيان ولا أعون على تعاطي تأويل متشابهاته ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه، ولكم آية من آيات القرآن تراها وقد ضيمت حقها، واستلبت ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا أهل هذا العلم فأخذوا بما في مأخذ مردودة، وحملوها على محامل غير مقصودة.. إلخ"<sup>(63)</sup>. وقال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلالات الإعجاز) في آخر فصل المجاز الحكمي: "ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهوا ألباب الألفاظ الموضوعية على المجاز والتمثيل أمّا على ظواهرها أي على الحقيقة فيفسدوا المعنى بذلك ويطلبوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسماع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم إذا أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكتبون في غير طائل هنالك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به"<sup>(64)</sup>.

### القول بالصرف في إعجاز القرآن الكريم

الصَّرْفُ في اللغة العربية يدور على معنى وهو: ردُّ الشيء عن وجهه، يقال: صرفت الرجل عني فانصرف، والصرفة منزلة من منازل القمر، سُمِّيَتْ بذلك لانصراف الحر وإقبال البرد، وقيل: لانصراف البرد وإقبال الحر. والصرف أن تصرف إنساناً عن وجهه يريد به إلى مصرف غير ذلك، وصرف الشيء أعمله في غير وجهه، كأنه يصوّفه عن وجهه إلى وجهه، وتصرّف هو وتصاريف الأمور تخاليفها، ومنه: تصاريف الرياح والسحاب، وكذلك تصريف السيول، والخيول، والأمور، والآيات، وتصريف الرياح: جعلها جنوباً، وشمالاً، وصباً، ودبوراً<sup>(65)</sup>. ومن خلال هذا المعنى للصرف، والصرف، يتبين لنا وجه العلاقة بين المعنى اللغوي، والاصطلاحي، حيث إن مؤدّى الصرفة ردُّ العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، وهذا هو المعنى الاصطلاحي.

وقد تعرض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أثناء تناوله لمعنى الصرفة للكلام عن ضبط الصاد في هذه الكلمة، فقال: "ولعلها بفتح الصاد وسكون الراء، وهي مرة من الصَّرف، وصيغ بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص، فصارت كالعلم بالغلبة"<sup>(66)</sup>.

وفي موضع آخر يقول: "وقعت كلمة الصرفة في عبارات المتكلمين، ومنهم أبو بكر الباقلائي في كتابه (إعجاز القرآن) ولم أر من ضبط الصاد منه، فيجوز أن يكون صاده مفتوحاً على زنة المرة مراداً بما مطلق وجود الصرف، والأظهر أن يكون الصاد مكسوراً على زنة الهيئة، أي: صرفاً<sup>(67)</sup> مخصوصاً بقدرته الله، ويشعر بهذا قول الباقلائي في كتاب (إعجاز القرآن) صرفهم الله عنه ضرباً من الصرف<sup>(68)</sup>. ومما سبق يظهر أن الصاد تفتح أحياناً، وتكسر أخرى، وفي هذا سعة، والله أعلم.

### تعريف الصرفة في الاصطلاح:

تعرض ابن عاشور في ثنايا كلامه عن الأمر الذي صار به القرآن الكريم معجزاً، إلى بيان المراد بالصرفة وفي ذلك يقول: "وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك، فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي لتقوم الحجة عليهم بمرأى ومسمع من جميع العرب. ويعرف هذا القول بالصرفة كما في المواقف<sup>(69)</sup> للعضد<sup>(70)</sup> والمقاصد للتفتازاني<sup>(71)</sup>، ولعلها بفتح الصاد وسكون الراء" وهي مرة من الصرف وصيغ بصيغة المرة للإشارة إلى أنها صرف خاص فصارت كالعلم بالغلبة<sup>(72)</sup>.

ولقد تعددت معاني الصرفة عند القائلين بها، وذلك نتيجة غموض هذا المصطلح وإجماله، وكثرة الاحتمالات الواردة عليه، ولذا فقد دارت معاني الصرفة في كلام العلماء على ثلاث معانٍ وهي:

- 1- عدم معارضة القرآن الكريم لعدم توفر بواعث المعارضة، ودواعيها عند العرب؛ لأن الله تعالى سلبهم تلك الدواعي، ولو توفرت الدواعي عندهم للمعارضة لعارضوه.
  - 2- عدم معارضة القرآن الكريم، مع وجود الدواعي للمعارضة، وذلك لأن الله تعالى سلب العرب العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن.
  - 3- عدم معارضة القرآن الكريم، مع وجود الدواعي للمعارضة، وتوفر العلوم التي لا بد منها في المعارضة، وذلك لأن الله تعالى منع العرب عن المعارضة على جهة القسر، والإلجاء<sup>(73)</sup>.
- ولو تأمل متأمل هذه المعاني الثلاثة وجد أن الأمر المشترك بين جميعها هو أن إعجاز القرآن لم يكن أمراً في ذاته، وإنما هو أمر خارج عنه يتمثل في سلب العرب بواعث المعارضة تارة، ولو زالت هذه الموانع على هذا القول لجاء العرب بمثل القرآن الكريم؛ لأنه لا يعلو على مستواهم في بلاغته ونظمه<sup>(74)</sup>.
- وفي بيان سبب تأليف علم البلاغة يقول ابن عاشور: "والأول<sup>(75)</sup> هو الذي اعتمده أبو بكر الباقلائي في كتابه (إعجاز القرآن) وأبطل ما عدها بما لا حاجة إلى التطويل به، وعلى اعتباره دون أئمة العرب علم البلاغة، وقصدوا من ذلك تقريب إعجاز القرآن على التفصيل دون الإجمال فجاءوا بما يناسب الكامل من دلائل الكمال<sup>(76)</sup>.

وهكذا فإنه عندما ازدهر التصنيف في علوم البلاغة كانت خدمة القرآن ماثلة أمام العلماء، الذين كانوا يعدون جهودهم منصبة في هذا المجال حتى إننا لا نكاد نجد كتاباً في البلاغة مقصوداً على مباحثها النظرية، وبعيداً عن خدمة القرآن يقول أبو هلال العسكري فيم مقدمة كتابه (الصناعتين): "قد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب" (77). بل إن العسكري - في كتابه - يرى أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله، علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحكمة (78).

ويذكر القزويني في مقدمة كتاب (التلخيص) أن علم البلاغة وما يتبعه: "من أجل العلوم قدراً، وأدقها سرّاً، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها" (79).

وهكذا نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن الكريم والبحث في إعجازه، وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علماً مستقلاً يُحصّ بالتأليف، بل لقد ظلت البلاغة بعد نضجها واستقلالها - أيضاً - متعلقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها، والله أعلم.

### علم التفسير وعلاقته بإعجاز القرآن:

إن علم التفسير من العلوم المهمة التي لقيت عناية بارزة من علماء المسلمين، وذلك لأنه بيان لمعاني كلام الله تعالى، ولذا فقد وضع العلماء - رحمهم الله تعالى - شروطاً للمفسر، وعلوماً لا بد له من العناية بها، ومن أهم تلك العلوم علم البلاغة المظهر لإعجاز القرآن الكريم، قال الزركشي - رحمه الله: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد ويعتمد على ما سبق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك" (80).

وفي علاقة علم التفسير بعلم الإعجاز يقول الشيخ ابن عاشور:

" وإن علاقة هذه المقدمة (81) بالتفسير هي أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آية المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار، فالمفسر في حاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته وما فاقت به آي القرآن في ذلك حسبما أشرنا إليه في المقدمة الثانية (82) لئلا يكون المفسر حين يعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا بمنزلة المفسر، فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى إلا عيون التفاسير، فمن مُقل مثل: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج، والمحرر الوجيز للشيخ عبد الحق بن عطية الأندلسي، ومن مُكثر مثل: الكشاف.

ولا يعذر عن الخلو في ذلك إلا التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني القرآن مثل أحكام القرآن، على أن بعض المهتم العليّة من أصحاب التفاسير لم يهمل هذا العلق النفيس كما يصف بعض العلماء كتاب (أحكام القرآن) لإسماعيل ابن إسحاق ابن حماد المالكي البغدادي، وكما نراه في مواضع من أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (83). ومن خلال هذا العرض نرى أن ابن عاشور قد أجمل فيه عدداً من المسائل نوجزها فيما يلي:

1- أن العناية ببيان ما في القرآن من طرق الاستعمال العربي، وخصائص البلاغة، وتفوق آي القرآن في ذلك على سائر الكلام، هي من الأغراض التي يعتني بها المفسرون الذين يسعون لبلوغ رتبة رفيعة في التفسير، وليس معنى كلام ابن عاشور هذا الطعن فيمن لم يعتن بهذا الأمر من المفسرين، وإنما المراد أن هذا الاعتناء ميزة يتنافس فيها المفسرون. والأمر دائر بين إفراط وتفريط، فمن المفسرين من يعتني كثيراً بتبيين النكت البلاغية، ومنهم من لا يشير إليها، والتوسط خير.

2- كتب أحكام القرآن هي كتب عُنيت بغرض واحد لا تتعداه غالباً، وهو بيان ما في الآيات القرآنية من أحكام فقهية، وهي على هذا لا تذكر أوجه الإعجاز في الآيات الكريمة، وقد ذكر ابن عاشور كتب أحكام القرآن باعتبارها معدودة في كتب التفاسير، وغالب من يذكرها من أهل العلم يعدها من كتب علوم القرآن، وهذه الكتب لا تُعنى إلا بالغرض الذي وضعت له؛ مثل كتب الغريب، وكتب الناسخ والمنسوخ، ونحوها من الكتب المؤلفة في بعض مباحث علوم القرآن<sup>(84)</sup>.

### منهج تفسير التحرير والتنوير

اعتمد الشيخ ابن عاشور في تفسيره على تتبع وتفسير كل ما يتعلق بالآيات والسور، وقد أشار إلى منهجه هذا، فقال: "وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخرالدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع... واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق، مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتنا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه هم النحارير"<sup>(85)</sup>.

كما كان يذكر ابن عاشور الغرض من السور التي يفسرها قبل أن يشرع في تفسيرها، وقد أشار إلى ذلك المنهج الذي اتبعه بقوله: "أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر، ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته، ومعاني جملة، كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله"<sup>(86)</sup>.

وقد أشاد ابن عاشور بتفسيره بأنه: "ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القمطير"<sup>(87)</sup>، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير"<sup>(88)</sup>.

وفي نهاية التمهيد أشار إلى الاسم الحقيقي لهذا الكتاب، فقال عنه: "وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير"<sup>(89)</sup>.

وقد أورد الشيخ تفسير التحرير والتنوير بعشر مقدمات وافية في موضوعاتها، وبين ذلك بقوله: "وها أنا أبتدئ بتقديم مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير"<sup>(90)</sup>.

وكانت هذه المقدمات علي النحو التالي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

وقد اختتم ابن عاشور تفسيره بقوله: " وإن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلبي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح ".

#### تفكيك التراث البلاغي في تفسير ابن عاشور

اعتمدت منهجية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير على تفكيك التراث البلاغي في عمومته، ومتابعة تحولاته التاريخية، وموضوعاته، وقضاياها، وأعلامه، وثقافتهم، وبيئاتهم، فالبلاغة شأنها شأن غيرها من المعارف، لم تتكون في فراغ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه من تطور ونهوض، ثم جمود في غير سياق. إن انتقاد الصيغة الأخيرة للبلاغة التي صاغها السكاكي وشارحوه، انتقاد لهيمنة التيار الفلسفي الكلامي على التيار الجمالي الذوقي، ولذا كان من الضروري أن ينقب في الجذور، في محاولة جادة عن الطريقة التي أقيم بها هذا البناء.

لقد بدت غايات الفلسفة هنا نقيضاً لما يجب أن تكون عليها البلاغة باعتبارها مداراً ليس لتفسير القول الجميل، فحسب؛ وإنما لتذوقه، ونسجه بالوجدان الحي للإنسان الناهض ولا حائل يحول دون هذه المهمة – في منظور ابن عاشور – غير هذا الاستغراق في التقسيم، والتبويب، وتقطيع الظاهرة الواحدة، والعناية بأشياء كثيرة، ليس من بينها أو ليس في مقدمتها جمالية القول الجميل، بوصفه تعبيراً عن حاجة المتكلم، ومؤثراً في المتلقي، فقد سيطرت النزعة الجدلية على هذه الأبواب وتلك النماذج حتى لتكاد تخرجها تماماً عن الغرض الأدبي<sup>(91)</sup>.

لقد جاء القرآن الكريم فائقاً أساليب العرب في فواتح الكلام وخواتمه وثناياه، وذلك من خلال تنوع ألفاه ومعانيه في هذه المواطن، خلافاً لما كان عليه العرب من الابتداء بألفاظ معينة أو معان معينة من البيان لا يعدونها كالغزل في غالب قصائدهم.

وهذا التنوع في أساليب المطالع والخوادم والتنقل بين المقاطع في الكلام هو ما يعبر عنه ابن عاشور في التفنن. و"التفنن في التعبير لم يزل دأب البلغاء وفيه من الدلالة على رفعة شأن المتكلم ما لا يخفى، والقرآن الكريم مملوء من ذلك"<sup>(92)</sup>.

وفي بيان أسلوب التفنن يقول الشيخ ابن عاشور: "ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن، وهو: بداعة تنقلاته من فن إلى فن، بطرائق الاعتراض<sup>(93)</sup>، والتنظير<sup>(94)</sup>، والتذليل<sup>(95)</sup>، والإتيان بالمترادفات<sup>(96)</sup>، عند التكرير تجنباً لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعداد من أعظم أساليب التفنن، عند بلغاء العربية، فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود، فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه، وإقبالهم عليه.

ومن أبدع أمثلة ذلك قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَضْيَاعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"<sup>(97)</sup>.

ويعلق ابن عاشور على هذه الآيات قائلاً:

"أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر، وبمراعاة أوصاف أخرى، فهو تمثيل لحال المناقطين المختلطة بين جواذب ودوافع حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعمجات وأكدار، جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه"<sup>(98)</sup>.

وما قرره ابن عاشور هنا يقرره المفسرون في كتبهم، بحيث كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة العزيز مثلها في شعر العرب، وفي نثر بلغائهم من الخطباء، وأصحاب بداهة الأجوبة. وفي هذا التفنن والتنقل من مناسبات بين المنتقل منه والمنتقل إليه هي في منتهى الرقة والبداعة بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله.

قال الزمخشري في تفسيره للآيات السابقة:

"ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف، وإيضاحاً غبّ إيضاح، وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز؛ فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل، والإشباع أن يفصل ويشبع"<sup>(99)</sup>.

وقال أبو السعود: "أو كصيب" تمثيل لحالهم إثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل، ويوفى حقها من التفضيع والتهويل، فإن تفننهم في فنون الفكر والضلال وتقلهم فيها من حال إلى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال، ويرخي في حلبته أجنة المقال، وتُمد لشرحه أطناب الإطناب، ويُعقد لأجله فصول وأبواب، لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة، لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامي الإطناب والإيجاز، فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل"<sup>(100)</sup>.

وذلك التفنن ما يعين على استماع السامعين، ويدفع سامة الإطالة عنهم، فإن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته، كما قال تعالى: "عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْا فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ"<sup>(101)</sup>.

فقوله "م اتيسر" يقتضي الاستكثار بقدر التيسر، وفي تناسب اقواله، وتفنن أغراضه مجلبة لذلك التيسر، وعون على التكتير، نُقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال في كتابه (سراج المريدين): "ارتباط أي القرآن بعضها مع بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة منتظمة المباني علم عظيم".

ونقل الزركشي عن عز الدين بن عبد السلام<sup>(102)</sup>: "المناسبة علم حسن، ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض<sup>(103)</sup>".

ومن خلال كلام ابن عاشور نفهم ما يلي:

1- يعرف ابن عاشور التفنن بأنه بداعة تنقلته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض، والتنظير، والتذليل، والإتيان بالمترادفات عند التكرير جنباً لثقل تكرير الكلم، وقد أشار الزمخشري إلى أن المراد بالتفنن بقوله في ثنايا كلامه له عن فوائد الالتفات: "اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة: التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر"<sup>(104)</sup>، وجعل السيوطي التفنن منطبقاً على تنويع الألفاظ<sup>(105)</sup>.

ومن خلال تعريف ابن عاشور يظهر أنه يتفق مع الزمخشري والسيوطي ذلك أن ابن عاشور جعل طرق التفنن هي الاعتراض، والتنظير والتذليل، والإتيان بالمترادفات عند التكرير جنباً لثقل تكرير الكلم، وهذه الطرق المذكورة راجعة إلى تنويع الألفاظ.

2- يذكر ابن عاشور في كلامه السابق عن فوائد التفنن الإعانة على استماع السامعين ودفع سامة الإطالة عنهم، وهناك فوائد أخرى أشار إليها العلماء - رحمهم الله تعالى - فمنها أن يسلوك مسلك التفنن جرياً على عادة العرب في كلامهم، قال البيضاوي - رحمه الله -: "من عادة العرب التفنن في الكلام، والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع"<sup>(106)</sup>.

### نتائج الدراسة

1- اعتمدت منهجية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير على تفكيك التراث البلاغي في عمومها، ومتابعة تحولاته التاريخية، وموضوعاته، وقضاياها، وأعلامه، وثقافتهم، وبيئاتهم.

2- ومما يجدر ذكره أن ابن عاشور حاول مقاومة التيار الأجنبي في البلاغة العربية فلا يستعين بمذاهب الفلاسفة في النقد، وحاولتهم زج المنطق الشكلي في فهم اللغة، وتذوقها، والكتابة فيها، ويحرص على أن يظل النظر في مسائل اللغة، خاضعاً للتقاليد الأدبية العربية الصحيحة، وممارسة النصوص الموروثة، وهو في هذا محافظ يريد أن ينجو بسلامة الذوق الأدبي، ونفاذه من الجمود والسطحية، اللذين كانا يخشى أن ينتهي بهما المنطق بإنزالهما بالسليقة العربية الأصيلة.

3- أن ابن عاشور قد تجاوز بالاستعارة مرحلة صباها، وكاد يحقق لها شباهاً، فقد أبدى الشيخ ابن عاشور الجمال القرآني سافراً رائعاً أخاذاً، ولم يقف عند بيان المعنى الحقيقي والمجازي، والعلاقة بينهما، بل يعرض الحقيقة، ويوزان بينها وبين الاستعارة، ويبين لنا مدى أثرها في النفوس، ومبلغ إثارتهما للحس فعرض ابن عاشور يجعل الوجدان

- ينفعل بالاستعارة القرآنية بعد أن أبدى جمالها المكنون.
- 4- يقف الشيخ الطاهر بن عاشور كثيراً أمام مفردات النص القرآني، يتأمل وقع كلماته وملائمتها للسياق، والنظر في مفردات النص من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني، وخفي الإشارات. وكلما أحسن الدارس هذه الوقفات، واستشف من المفردات كل ما تعطيه، وتلوح به من معنى ووحى، ورمز كان أقدر على الاندماج، والمشاركة.
- 5- يشتمل تفسير ابن عاشور على جملة الوشائج اللفظية والمعنوية التي تربط أجزاء السورة الكريمة بعضها ببعض، وفي كل قطعة من قطع السور أسباب ممدودة، في شبكة من العلاقات المحكمة النسج. كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة. وأنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية.
- 6- لم يكن الشيخ الطاهر بن عاشور يسترسل في الحديث عن الجنس الواحد استرسالاً يبعث على الملل، ولم يكن ينتقل من معنى إلى آخر انتقالاً يخرج به إلى حد المفارقات التي تجمع أشتاتاً من غير نظام، فلم يكن يدع الأجناس المختلفة والأضداد المتباعدة حتى يجاور بينها، ويبرزها في صورة مؤتلفة.
- 7- حرص الشيخ الطاهر ابن عاشور على إبراز العلاقة بين علم إعجاز القرآن، وبين أصول الاعتقاد.
- 8- يلحظ الناظر في تفسير التحرير والتنوير عناية ابن عاشور باللغة العربية وآدابها، وتعتبر اللغة في تفسير التحرير والتنوير من أهم وأبرز الأسس التي قام عليها، واستوى على سوقه، بل هي العصب الذي يشد أركان هذا التفسير، ويقويه، ويميزه، ويتميز به.
- 9- يحرص ابن عاشور على إبراز تميز البلاغة القرآنية على ما عداها من بلاغة العرب، حيث نجح في إبراز الأمور التي تميز بها القرآن الكريم، ولا نظير لها في لغة العرب.
- 10- حرص ابن عاشور على إظهار بطلان الأقوال الباطلة التي قيلت في إعجاز القرآن الكريم، كالتقول بالصرفة.

#### المصادر والمراجع:

- <sup>1</sup> - أعلام تونسيون الصادق الزميلي ، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الاولى ، 1986: ص 361
- 'Alām tunasiyyūn al-ṣādiq al-zamālī, Taqdīm wa T'arīb Ḥammādī al-saḥīlī, dār al-gharb al-'islāmī, Al-ṭab'ah al-'ūlā, 1986, P:361
- <sup>2</sup> - المرجع السابق: ص 362
- Ibid: P 362
- <sup>3</sup> - المرجع السابق: ص 363
- Ibid: P 362
- <sup>4</sup> - قدم المقيم العام الفرنسي أرمان غيَّون Armand Guillon إلى تونس في شهر مارس 1936 ( أعلام تونسيون، ص 363 ).
- Qaddam al-muqīm al-'Ām al-faransī 'Armand Ghyyun 'ilā Tūnas fī Shahar Mars 1963 ('Alām tunasiyyūn, P 363)
- <sup>5</sup> - أعلام تونسيون: ص 366

(‘Alām tunasiyyūn, P 363)

<sup>6</sup> - قراءة التراث النقدي: ص 28

Qirā’h al-Turāth al-aqdī: P 28

<sup>7</sup> - أثر القرآن وتطور النقد العربي: محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر الطبعة الثانية 1968، ص 217-218

‘Athar al-Qur’ān wa taṭawwar al-naqd al-‘arabi: Muḥammad Zaghāl salām, Dār al-Ma’ārif, al-Qāhirah, Miṣar, Al-ṭab’ah al-thaniyyah 1968, P 217-218

<sup>8</sup> - جامعة الزيتونة كان من أعرق الجوامع التعليمية في العالم الإسلامي، وينسب تأسيس الجامع إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاج في سنة ٧٩٩ هـ، (٦٩٨-٦٩٩ م) وهناك من ذهب إلى أن تأسيسه تم في عهد عبد الله بن الحبحاب، كما تم توسيع الجامع في عهد زيادة بن الأغلب، وهذه الاختلافات التاريخية متعلقة بتحديد أزمنة التطورات التوسيعية التي شهدتها الجامع في عهوده الأولى، وقد شهد هذا الجامع عدة حركات تعليمية ومحاولات إصلاحية وتوعوية.

- انظر تاريخ جامع الزيتونة، الشيخ محمد الشاذلي النيفي، مجلة جوهر الإسلام، العدد ٩، ١٠٩، ص ٦ وما بعدها.

See: Tārīkh Jami’ al-zaitūnah, al-shiekh Muḥammad al-Shādhī al-Naīfī, Majallah Jūhar al-‘Islām, al-‘adad 109, P 6 and afterward.

- وللإستزادة عن كل ما يتعلق بهذا الجامع:

انظر، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، محمد العزيز بن عاشور، دار سرار للنشر، تونس.

See: Jami’ al-zaitūnah al-Mu’allim w rijāluhū, Muḥammad al-‘Azīz bin ‘Āshūr, dār Sirar lin-Nashr, Tūnas.

<sup>9</sup> - أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن محمد الزهراني، تحت إشراف: أ. د. محمد عطية باشا، 1426-1427، ص 15.

‘Athar al-dalālāt al-Lughawiyah fī al-tafsīr ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr fī kitābihī al-Taḥrīr wal-tanwīr, Mushrraf bin Muḥammad al-Zahrānī, Taḥat ‘ishrāf : ‘Ustadh Duktūr Muḥammad ‘Aṭyah Bāshā, 1426-1427, P 15.

<sup>10</sup> - من أعلام الزيتونة: ص 35

Min ‘a’lām al-Zaitūnah: P 35

<sup>11</sup> - المرجع السابق: شيخ الإسلام ص 153

Ibid, Sheikh ul ‘Islām P 153.

<sup>12</sup> - من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره: الدكتور بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1417 هـ، ص 25

Min ‘a’lām al-Zaitūnah Sheikh al-Jāmi’ al-‘Āzam Muḥammad al-Ṭāhir bin ‘Āshūr, Ḥayātihī wa Ātharihī: al-daktūr Bilqāsīm al-Ghālī, Dār ibn Hazem, Al-ṭab’ah al-‘ūlā, 1417 H, P 25

<sup>13</sup> - إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور: ص 33

‘Aijāz ul -Qur’ān ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr: P33

<sup>14</sup> - من أعلام الزيتونة: ص 141

Min ‘a’lām al-Zaitūnah: P 141

<sup>15</sup> - الشيخ محمد الخضر حسين هو ابن علي بن عمر الحسيني التونسي، ولد سنة 1293هـ، وتوفي سنة 1377هـ، انظر الأعلام: ج 6/113

Al-sheikh Muḥammad al-Khiḍar Ḥussain Huwa Muḥammad al-Khiḍar bin al-Ḥussain bin ‘Alī bin ‘Umar al-Ḥasanī al-Tūnasī, born 1293h, and died 1377h, See: al-‘a’lām : P 113/6

<sup>16</sup> - انعقد المؤتمر الدولي الثاني والعشرون، وأقيمت فعالياته في مدينة اسطنبول التركية خلال الفترة من 15 - 22 أيلول/ سبتمبر عام 1951، وبلغت محاور المؤتمر خمسة عشر محوراً، من أبرزها محور الشؤون الإسلامية، وقد تضمن محاور فرعية هي: أ- اللغة العربية وآدابها، ب- التاريخ والثقافة، ج: الاجتماعيات. وقد حضر هذا المؤتمر كوكبة من أعلام المستشرقين الدوليين منهم: هاملتون جب، وغليوم، وهنري ماسيه، ولوي

- ماسنيون، وجارثيا جومز، وقد حضر بعض رجال الدين النصارى مثل الأب لاتور، والأب بارنجا. نقلالق عن مركز المدينة للدراسات وبحوث الاستشراق على هذا الرابط <http://www.madinacenter.com>
- 17 - من أعلام الزيتونة: 65-66
- Min 'a'lām al-Zaitūnah: P 65-66
- 18 - سورة طه، الآية 5
- Sūrah Ṭāhā, Al-'āyah 5
- 19 - سورة الأعراف، الآية 54
- Sūrah al-'a'rāf, Al-'āyah 54
- 20 - التحرير والتنوير: 16 / 187
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 187/16
- 21 - سورة سبأ، الآية 24
- Sūrah Saba', Al-'āyah 24
- 22 - التحرير والتنوير: 22 / 193
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 193/22
- 23 - إعجاز القرآن عند الطاهر ابن عاشور: 42-43
- 'Aijāz ul -Qur'ān 'ind al-Ṭāhir bin 'Āshūr: P 42-43
- 24 - من أعلام الزيتونة: ص 149
- Min 'a'lām al-Zaitūnah: P 149
- 25 - من أعلام الزيتونة: ص 62
- Min 'a'lām al-Zaitūnah: P 62
- 26 - مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: 7.
- Muqadamah kashf ul Mughaṭā min al-ma'ānī wal-'alfāz al-waqī'ah fī al-Mu'atā':7
- 27 - نصح ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية: 368.
- Nahaj ibn e 'āshūr fī al-'aḥtijāj bil-qirā't al-qur'āniyyah: 368.
- 28 - أعلام الزيتونة: ص 37
- Min 'a'lām al-Zaitūnah: P 37
- 29 - هو الشيخ عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ أو (سيدي عمر) ولد سنة 1237 هـ، وتوفي سنة 1329 هـ، انظر كتاب: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1349هـ، ج 1 / 420
- See book: Shajrah al-Nūr al-Zakiyyah fī Ṭabqāt al-malkiyyah : Muḥammad bin Muḥammad bin 'Umar Qāsim Makhluṭ, Taḥqīq 'Abdul Majīd Khialī, dār al-kutub al-'ilmiyyah, Bairūt, Lebanon 1349h, Part 1/420.
- 30 - هو: الشيخ صالح الشريف المولود سنة 1285 هـ، وتوفي في جمادى الأولى 1338 هـ، انظر: إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور: ص 45
- Huwa: al-sheikh Ṣaliḥ al-Sharīf Born 1285 h, and died fī Jumād al 'Ūlā 1338h, 'Aijāz ul -Qur'ān 'ind al-Ṭāhir bin 'Āshūr: P 45
- 31 - إعجاز القرآن عند الإمام ابن عاشور: ص 47
- 'Aijāz ul -Qur'ān 'ind al-Ṭāhir bin 'Āshūr: P 47
- 32 - السمرقندية: متن من متون البلاغة، وتعرف أيضاً بمتن الاستعارات
- Al-Samarqandiyyah: matan min mutūn al-Balagah w ta'r'ruf 'aiḍan bi matan al-'isti'ārāt.

- 33 - إعجاز القرآن عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور: ص 48
- ‘Aijāz ul -Qur’ān ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr: P 48
- 34 - المرجع السابق: ص 49
- Ibid: P 49
- 35 - إعجاز القرآن عند الطاهر ابن عاشور: ص 50
- ‘Aijāz ul -Qur’ān ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr: P 50
- 36 - المرجع السابق: ص 51
- Ibid: P 51
- 37 - من أعلام الزيتونة: ص 56
- Min ‘a’lām al-Zaitūnah: P 56
- 38 - إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور: 53-56
- ‘Aijāz ul -Qur’ān ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr: P 53-56
- 39 - مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ٨
- Muqadamah kashf ul Mughaṭā min al-ma’ānī wal-’alfāz al-waqi’ah fī al-Mu’atā’:7
- 40 - المرجع السابق: ص 50
- Ibid: P 50
- 41 - إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور: ص 52
- ‘Aijāz ul -Qur’ān ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr: P 52
- 42 - من أعلام الزيتونة: 66-67
- Min ‘a’lām al-Zaitūnah: P 66-67
- 43 - تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر، ولزمه وحضر دروسه التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح في رمضان، وقد تقلد عدة مناصب، والتي تقلدها ابن عاشور من قبل مثل: عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء في تونس، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدّة، وله مجموعة من المؤلفات والمقالات المتعلقة بدراسة الجوانب اللغوية والبيانية في التحرير والتنوير.
- انظر، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: ٢٧
- ‘Athar al-dalālāt al-Lughawiyah fī al-tafsīr ‘ind al-Ṭāhir bin ‘Āshūr fī kitābihī al-Ṭahrīr wal-tanwīr, 27.
- 44 - (1305 - 1559هـ = 1887 - 1940 م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م، إلى وفاته، ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس، وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلداً، وكان شديد الحمالات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رئاسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذّي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيراً من المدارس، وتوفي بقسنطينة في حياة والده، له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاماً، ونشرت نبذة منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير - ط) ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات. (الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ج ٣، ٢٨٩، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002م.
- Al-’a’lām: li khairid dīn Maḥmūd bin Muḥammad bin ‘Alī bin Fāris, al-Zarkalī Part 3, p 289, Publisher Dār al-’ilm lil malāyīn, al-ṭab’ah: al-Khāmisah ‘Asharah- Ayyār / May 2002 AD.
- 45 - مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: 10
- Muqadamah kashf ul Mughaṭā min al-ma’ānī wal-’alfāz al-waqi’ah fī al-Mu’atā’:10
- 46 - مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠، وانظر، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي: ٢٠٠-٢٠١.

Muqadamah kashf ul Mughaṭā min al-ma'ānī wal-'alfāz al-waqī'ah fi al-Mu'aṭā':10, and see: manhaj al-sheikh Muḥammad al-Tāhir bin 'Ashūr fi 'iṣlāhi al-ta'lim al-'islāmī: 200-201

47 - مقدمة كشف المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: ١٠

Muqadamah kashf ul Mughaṭā min al-ma'ānī wal-'alfāz al-waqī'ah fi al-Mu'aṭā':7

48 : انظر، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي: ٢٠١.

See: manhaj al-sheikh Muḥammad al-Tāhir bin 'Ashūr fi 'iṣlāhi al-ta'lim al-'islāmī: 200-201

49 - انظر، فتح ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية- ص ٣٦٨

Nahaj ibn e 'āshūr fi al-'aḥtijāj bil-qirā't al-qur'āniyyah: 368.

وانظر، الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ)، ج: ٤، ص: ١٧، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002م.

Al-'a'lām: li khairid dīn Maḥmūd bin Muḥammad bin 'Alī bin Fāris, al-Zarkalī al-damishqī (died 1396h) Part 4, p 17, Dār al-'ilm lil malāyīn, al-ṭab'ah: al-Khāmisah 'Asharah- Ayyār / May 2002 AD.

50 - من أعلام الزيتونة: ص 68

Min 'a'lām al-Zaitūnah: P 68

51 - التحرير والتنوير: ج ١، ص 6-7.

Al-taḥrīr wal-tanwīr: part 1, P 6-7.

52 - المرجع السابق: ج ١، ص 6-7.

Ibid: Part 1, P 6-7.

53 - المرجع السابق: ج ١، ص 7.

Ibid: Part 1, P 7.

54 - المرجع السابق: ج ١، ص 7-8.

Ibid: Part 1, P 7-8.

55 - المرجع السابق: ج ١، ص 8.

Ibid: Part 1, P 8.

56 - أيوب ابن زيد ابن قيس ابن زرارة الهلالي الشهير بابن القرية: أحد بلغاء الدهر، خطيب يُضرب به المثل، يقال أبلغ من ابن القرية، والقرية هي أمه، توفي سنة 84هـ، انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، عام 2002 ص 237

See: Al-'a'lām: li khairid dīn Maḥmūd bin Muḥammad bin 'Alī bin Fāris, al-Zarkalī Publisher Dār al-'ilm lil malāyīn, al-ṭab'ah: al-Khāmisah 'Asharah- May 2002 AD.

57 - الحسن بن يسار، ابو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، ولد سنة 21هـ، وتوفي سنة 110هـ، انظر: الأعلام 2 / 226

Al-Ḥasan bin Yasār, 'Abū Sa'īd al-baṣārī, Maūlā Zaid bin Thabit, Born 21h, Died 110ah, See: al-'a'lām 226/2.

58 - أبو بشر، عمرو ابن عثمان ابن قنبر، الفارسي، ثم البصري المعروف بسبيويه، توفي سنة 180هـ، انظر: إعجاز القرآن عند الطاهر ابن عاشور: ص 361

'Abū Bashār, 'Amr bin 'Uthmān ibn Qambar, al-Farisī, Thumma al-Baṣārī al-ma'rūf bisaīwbaīh , Died 180 h, 'Aijāz ul -Qur'ān 'ind al-Tāhir bin 'Āshūr: P 361

59 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرخشي، ضبط يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ ج 1 / 8

Al-kashāf 'an Ḥaqāiq al-tanzīl wa 'uyūn al-aqāwī fi wujūhi al-tawīl: 'abū al-qāsim jārullah Maḥmūd bin 'Umar al-zamakhsharī, ḍabṭ Yūsuf al-Ḥammadi, Maktabah Miṣār, al-Qāhirah, No-date Part 1/8

- 60 - سورة الزمر، الآية 67
- Sūrah al-Zumar, Al-'Āyah 67.
- 61 - الكشف: ج 4 / 65
- Al-kashāf: Part 4/65.
- 62 - مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م. ص 162
- Mifāḥ ul-Ūlūm: Yūsuf bin 'abī bakar al-sakkakī, ḍabṭuhū wa 'allaqa 'alāhi Na'īm zazūr, dār al-kutub al-'ilmiyyah, Baīrūt, Lebanon, al-ṭab'ah al-Ūlā 1420h/2000ac, P 162.
- 63 - المرجع السابق: ص 421
- Ibid: P 421
- 64 - التحرير والتنوير: ج 1 / 18
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 18/1
- 65 - لسان العرب: ابن منظور، ج 9، ص 189
- Lisān ul 'arab: 'ibn manzūr, P 9, P 189.
- 66 - التحرير والتنوير: ج 1 / 103
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 103/1
- 67 - في الأصل: حرفاً، ولعل الصواب ما أثبتته
- Fī al-'aṣal: Ḥarfan, wa l'alla al-ṣawāb mā aṭbatahu
- 68 - التحرير والتنوير: ج 1 / 347
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 347/1
- 69 - انظر الموافق: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997، 3 / 378
- See al-mawāqif: 'Aiz ud dīn 'abdul Raḥmān bin 'Aḥmed al-'aījī, Research al-dukṭūr 'Abdul Raḥmān 'Umaīrah, dār al-jaīl, Baīrūt, Lebanon, al-ṭab'ah al-Ūlā, 1997, 378/3.
- 70 - العضد: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار أبو الفضل الإيجي، ولد سنة 700 هـ، وتوفي سنة 756 هـ، انظر: الدرر الكامنة ج 2 / 429،
- Al-'azud: 'Aiz ud dīn 'abdul Raḥmān bin 'Aḥmed abū al-faḍal al-'aījī, born 700h, died 756h, See: al-durar al-kāminah, Part 2/429.
- 71 - التفنازي: مسعود بن القاضي فخر الدين عمر بن برهان الدين الشهير: بسعد الدين التفنازي ولد سنة 712 هـ، وتوفي سنة 791 هـ، انظر الدرر الكامنة: ج 4 / 350
- Al-taftazānī: Mas'ūd bin al-qaḍī Fakhud dīn 'Umar bin Burhān al-dīn al-Shahīr: bi sa'ad-ud-dīn al-taftazānī, born 712h, died 719, See: al-durar al-kāminah, Part 350/4.
- 72 - التحرير والتنوير: ج 1 / 103
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 103/1
- 73 - إعجاز القرآن عند الطاهر ابن عاشور: ص 177
- 'Aijāz ul -Qur'an 'ind al-Tāhir bin 'Āshūr: P 177
- 74 - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1996، ج 2 / 301
- Manāhil ul-'irfān fī 'ulūm il-qur'an: Muḥammad 'Abdul 'Azīz al-zarqānī, dār al-fikar, Baīrūt, Lebanon, al-ṭab'ah al-Ūlā, 1996, 301/2.

- 75 - بقصد الإعجاز البلاغي
- Biqāṣdil 'aījāz al-balāghī.
- 76 - التحرير والتنوير: ج 1 / 130
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 130/1
- 77 - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق دكتور مفيد قميحة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1404هـ - 1984 ، ص 1
- Kitāb al-ṣanā'atāin al-kitābah wal-Sh'ar: 'Abū Hilāl al-Ḥasan bin 'Abdullah bin shal al-'askarī, Research duktūr mufid qamiḥa dār al-kutub al-'ilmiyyah, al-ṭab'ah al-thāniyyah, 1404h/1984, ) p 1.
- 78 - المرجع السابق: نفس الصفحة
- Ibid.
- 79 - لتلخيص في علوم البلاغة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ: ص 21
- Al-talkhīṣ fī 'ulūm al-balaghah, Jalāl al-dīn, Muḥammad bin 'Abdul Raḥmān al-qazwīnī al-khaṭīb, Sharḥuhū 'Abdul Raḥmā al-barqaūqī, dār al-fikr al-'arabī, al-qāhirah, no-date: P 21.
- 80 - البرهان: الزركشي، ج 1 / 311
- Al-burhān: al-zarkashī, P 311/1.
- 81 - المقدمة العاشرة المتعلقة بإعجاز القرآن
- Al-muqaddamah al-'āshirah al-muta'llaḥq b'aījāz al-qur'ān
- 82 - التحرير والتنوير: ج 1 / 18
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 18/1
- 83 - التحرير والتنوير: ج 1 / 102
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 102/1
- 84 - الإعجاز في تفسير الطاهر ابن عاشور: ص 373
- 'Aijāz fī tafsīr al-Ṭāhir bin 'Āshūr: P 373
- 85 - المرجع السابق: ج 1 ، 8.
- Ibid: Part 1, P 8.
- 86 - المرجع السابق: ج 1 ، 8.
- Ibid: Part 1, P 8.
- 87 - القمطر الجميل القوي السريع، وقيل: الجميل الضخم القوي، وكل شيء جمعه فقد قمطرته، والقمطر، والقمطرة ما تصان فيه الكتب. - لسان العرب: (قمطر).
- 88 - التحرير والتنوير: ج 1 ، 8.
- Al-taḥrīr wal-tanwīr: 8/1
- 89 - المرجع السابق: ج 1 ، 8-9.
- Ibid: Part 1, P 8-9.
- 90 - المرجع السابق: ج 1 ، 9.
- Ibid: Part 1, P 9.
- 91 - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي، الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص 112
- Manāhij tajdīd fī al-naḥw wal-balāgha wal-tafsīr wal-'adab: 'amīn al-Khaūlī, al-'a' mā al-kāmilah al-haī'atimiṣriyyah al-'āmmah II-kitāb, al-qāhirah, 1995, P 112
- 92 - روح المعاني: الألويسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ 269 / 1

Rūḥ ul-m'ānī: al-'alūsī al-baghdādī, dā 'aḥyā al-turāth al-'arabī, Bāirūt, Labonān, no-date, 269/1.

<sup>93</sup> – الاعتراض: هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة، انظر: بغية الإيضاح في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى 1384هـ-1964م ج2/ 147

Jalāl ud dīn al-suyūṭī, ṭab'ah 'Esā al-bābī al-ḥalbī wa shurakāhu, al-qāhirah, al-ṭab'ah al-ūlā, 1384 a.h/1964, P 2/147.

<sup>94</sup> – التنظير: هو جمع أمر وما يناسبه بغير المضادة، انظر: عروس الأفراح: ج2 / 337

Al-tanzīr: huwa jam' 'amr wma yunāsibuhū bghāī al-muḍādah, see: 'Urū al-afrah: part 2/337.

<sup>95</sup> – التذييل: هو تعقيب جملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، انظر: بغية الإيضاح: ج2 / 139

Al-tadhīl : huwa ta'qīb jumlah bijumla tashmal 'alā ma'nāhā lit-taūkīd, see: baghyatul-īḍāḥ : p 2/139

<sup>96</sup> – المترادفات: جمع مترادف، والترادف هو ورود لفظين أو أكثر مختلفين في الاشتقاق متفقين في المعنى بحيث يدلان على المعنى دلالة حقيقية بدون فروق بينهما، انظر: الإعجاز القرآني: ص 201

Al-mutarādīfāt : jam' mutaradif, wal trāduf huwa wurūd lafẓāīn aw 'akthar mukhtalifaīn fī al-'ishtiḳāq mutafaqāīn fī al-ma'nā biḥaith yadullān 'alā al- ma'nā dalalah ḥaḳīqiyah bidūn furūq baīnihimā, see: al-'a'jāz al-qurānī : p 201.

<sup>97</sup> – سورة البقرة: الآيات 17- 20

Sūrah al-baqrah alāyāt 17-20.

<sup>98</sup> – التحرير والتنوير: ج1 / 314- 315

Al-taḥrīr wal-tanwīr: part: 1, P 314-315

<sup>99</sup> – الكشف: الزمخشري، ضبط يوسف الحمادي، مكتبة مصر، بدون تاريخ 75 / 1

Al-kashāf: al-zamaksharī, ḍabṭ yūsuf al-ḥammādī, Maktabah miṣr, no-date 75/1.

<sup>100</sup> – إرشاد العقل السليم: إلى مزايا القرآن الكريم: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، 1 / 52

'Irsād al-'aql al-salīm : 'ilā mazayā al-qur'ān al-karīm: Muḥammad bin Muḥammad al-'ammādī 'abū al-sa'ūd, dā 'aḥyā al-turāth al-'rabī, Bāirūt, Lebanon, no-date, 52/1.

<sup>101</sup> – سورة المزمل: الآية 20

Sūrah al-muzammil: al-āyah 20.

<sup>102</sup> – هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ولد سنة 577هـ، أو 578 هـ، وتوفي سنة 660 هـ، انظر البداية والنهاية: 274 / 13

Huwa 'izul dīn 'abū Muḥammad 'abdul 'azīz bin 'abdus sālām bin 'abī al-qāsīm born 577 a.h / 578 a.h, died 660 a.h, see: al-bidāyah wal-nihāyah: 274/13.

<sup>103</sup> – التحرير والتنوير: ج1 / 116

Al-taḥrīr wal-tanwīr: 116/1

<sup>104</sup> – البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1391 هـ، 3 / 325

Al-burhān fī 'ulūm al-qur'ān : Muḥammad bin bhādar bin 'Abdullah al-zarkashī 'abū 'Abdullah, research Muḥammad 'abū al-ḥadīl 'Ibrāhīm, dār al-ma'rīfah, Bāirūt, Lebanon, 1391 ah, 325/3

<sup>105</sup> – الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد، طبع مجمع الملك فهد، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 5 / 1868

Al-itqān fī 'ulūm al-qur'ān : Jalāl al-dīn al-suyūṭī, Taḥqīq markaz al-dirāsāt al-qurā'niyyah fī majm'a al-malik Fahad, Ṭaba' majma' al-malik Fahad, al-ṭaba' al-ūlā, 1426 a.h, 1868/5.

<sup>106</sup> - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البضاوي، دار الفكر، بدون تاريخ ص 4  
Anwār al-tanzīl wa asrār al-ta'wīl : Nāṣir al-dīn 'abū al-khaīr 'Abdullah bin 'Umar al-shaīrāzī al-  
baḍāwī, dār al-fikr, no-date, P 4.